

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(3) البحث عن العصمة من صميم الحياة إنَّ البحث عن "العصمة" ليس بحثاً عن مسائل جانبيةٍ لا تمتُّ إلى الحياة الإنسانية، خصوصاً الجانب المعنوي فيها، فانَّها من الأمور التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة والحياة الإسلامية الحاضرة. فإنَّ البحث في العصمة بحثٌ عمليٌّ يضمن سلامة هذه الثقافة، واستقامتها، وبالتالي بحثٌ عمليٌّ يضمن مطابقة حياتنا الحاضرة مع ما أنزله الله من تشريع، وما تركه نبيُّه الكريم من سنة. من هنا يكون من المحبَّذ الموكَّـد بل من اللازم الامعان في حياة الأنبياء وسيرتهم، والامعان في الآيات التي وردت في حقِّهم، فهو بالإضافة إلى أنَّه يعين على فهم حقيقة "العصمة"، ويوكَّـد ارتباطها بسلامة الثقافة الإسلامية، امثالاً لقوله سبحانه: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ). (1) وقوله سبحانه: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُذَكَّرُوا آيَاتِهِ وَلِتُذَكَّرُوا أُولُوهَا الْآلِلَاب). (2) فالنظرة الفاحصة إلى الآيات الواردة في شأن الأنبياء، وكذا القصص المذكورة حولهم على الوجه العام، والآيات التي ترجع إلى عصمتهم من الخطأ والزلل، والاثم والعصيان بصورة خاصة يعتبر عبادة عمليةً يُثاب عليها المفكِّـر المتدبر فيها. غير أنَّه للأسف اتخذ بعض الكتاب المتسرِّعين موقفاً سلبياً في مقابل العلماء الذين بحثوا عن "العصمة" ضمن تفاسيرهم أو كتبهم الاعتقادية فقال _____ 1 . النساء: 82. 2 . ص: 29. مستنكراً، ومتهجِّماً عليهم: "ما سمعنا عن أحد من الصحابة أنَّه ناقش النبي في كيف أكل آدم من الشجرة؟ وكيف عصى ربُّه؟ ولا ناقشوا الرسولَ في غير آدم من الأنبياء على هذا المنحى الذي نحاه المتأخرون، ولا وإي ما كان أولئك الصحابة أقلَّ معرفةً لمكانة الأنبياء من أولئك المتأخِّرين، ولا أقلَّ احتراماً وإجلالاً لشأنهم من أولئك المتكلِّفين مالا يعنيه، والداخلين فيما ليس من شؤنهم. وأمَّا القلوب السقيمة فهي قلوب المتأخِّرين الذين فتح عليهم الشيطان باباً واسعاً من فنون الجدل، وكثرة القيل والقال، والمماحكات اللفظية وأقوال أهل الكتاب من اليهود أشدَّ الناس كراهيةً للأنبياء، وتحقيراً لهم، ومشاقَّة لهم، وكفراً بهم وتقتيلاً". (1) نحن لا نعلِّق على هذا الكلام، لأنَّه كلام ساقط جداً، فإنَّ كاتباً يدعي الإسلام وفي الوقت نفسه يصف علماء الإسلام - الذين أوكل إليهم قيادة الأمة الإسلامية - بأنَّهم ممَّن تأثروا بفتنة الشيطان، وجعل التدبُّر في آيات الكتاب العزيز من وحي الشيطان، انسان متناقض لا يستحق كلامه الردَّ والنقد. والعجب أنَّ هذا الكاتب (المجهول) استثنى من الفرق الإسلامية فرقةً واحدةً وُقِّـوا من كيد الشيطان ووساوسه وفتنته "وهم أهل الحديث المقتفون للأنبياء، الذين

جعلوا عقولهم وآراءهم تحت حكم ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استمساكاً بالعروة الوثقى والحبيل المتين" (2) عزب عنه أن أحداً من المسلمين لا _____ 1 . من مقدمة "عصمة الأنبياء" للرازي، بقلم كاتب مجهول الهوية، نشر دار المطبوعات الحديثة - جدة. 2 . من المقدمة أيضاً. يعدل عن السنّة إلى غيرها بعد القرآن الكريم وأنّ إنكار السنّة إنكار لنبوة النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه أبد الآبدين. غير أنّ الكلام هو في تشخيص (الصحيح) عن غيره، و(الموضوع) عمداً عداه، فإنّ تاريخ الحديث يكشف عن أنّ الحديث وقع في مشاكل كثيرة، فهذه هي المجسمة والمشبهة بالله تعالى بخلقه، يستندون إلى هذه الأحاديث المدوّنة في الصحاح والسنن، والمسانيد. لا ذاكرة لكذب!! والذي أظن أنّ هذه المقدمة كتبت لغاية خاصة وهي الحطّ من مكانة أهل البيت النبويّ وأئمتهم الذين فرض الله تعالى على الناس محبّتهم ومودّتهم، وجعلها أجر الرسالة إذ قال: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَمَلَيْهِمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). (1) فإنّ هذا الكاتب (المجهول) تارة يعرف اليهود بأنّهم أشدّ الناس كراهيةً للأنبياء وتحقيراً لهم إلى آخر ما قال... ولازم ذلك التحقير أن لا يكون الأنبياء عندهم معصومين بل متهتكين لحرم الله. وتارة يُشبّه المقتفين لآثار أهل البيت، باليهود، لأنّهم أثبتوا العصمة لأئمتهم كما أثبت اليهود العصمة للأنبياء تكريماً لهم، وتعظيماً لشأنهم. فما هذا التناقض الصريح بين الكلامين ياترى؟! فلو كان اليهود - كما وصفهم في العبارة الأولى - من أشدّ الناس عداوةً للأنبياء وتحقيراً لهم، لما أثبتوا للأنبياء العصمة التي هي من أعظم المواهب الإلهية المفاضة للإنسان. ولو كانت الشيعة كاليهود في القول بالعصمة فما معنى كون اليهود أشدّ الناس عداوةً للأنبياء؟! أضف إلى ذلك أنّهُ بأيّ دليل ينسب إلى اليهود القول بالعصمة بل هم _____ 1 . الشورى: 23.